

مجلة العلوم القانونية والاجتماعية

Journal of legal and social studies

Issn: 2507-7333

Eissn: 2676-1742

مشاركة المرأة الجزائرية في الحركة العلمية

Algerian women's participation in the scientific movement

بن لسبت لدمية*

جامعة عمار ثليجي - الأغواط - الجزائر l.benlasbet@lagh-univ.dz

المخبر: مخبر الدراسات الإسلامية واللغوية جامعة عمار ثليجي - الأغواط - الجزائر

تاريخ النشر: 2023/09/01

تاريخ القبول: 2023/08/01

تاريخ ارسال المقال: 2023/06/03

* المؤلف المرسل

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز المرأة الجزائرية في مجال العلوم الشرعية، وقد كان أكثر اهتمامها بالحديث حفظاً ورواية، إلى جانب اهتمامها بالفقه، وغيره من العلوم الخادمة للعلوم الشرعية. ولقد امتد عطاء المرأة المسلمة في المجال العلمي والتعليمي منذ العصور الأولى للحضارة الإسلامية، فظهرت المحدثّة والفقيهة والمفتية والمتصوفة، التي كان يقصدها طلبة العلم، ويأخذ عنها بعض العلماء. ومن العالقات من كانت تعقد مجالساً للعلم، ومنهن من أكثرن من الرحلة في طلب العلم إلى عدد من المراكز العلمية في مصر والشام ومكة والمدينة، حتى صرن راسخات القدم في رواية الحديث والعلوم الشرعيّة عموماً، ولبعضهن إسهامات في الشعر والأدب وغيرها من العلوم. إلا أننا نجد أن كتب التاريخ والتراجم لم تعط لهن اهتماماً تفصيلياً، بل أشارت إليهن عند ذكر آبائهن أو أزواجهن.

وإن للمرأة الجزائرية مساهمة فعالة في الحركة العلمية عموماً وفي ميدان العلوم الشرعية، خاصة زمن ازدهار العلم بالمغرب العربي من بداية القرن التاسع الهجري.

الكلمات المفتاحية: الحركة العلمية؛ العلوم الشرعية؛ المرأة؛ محدثات؛ فقيهاة؛ عالقات.

Abstract:

This study aims to highlight the Algerian woman in the field of legal sciences, and her interest was most in hadith memorization and narration, in addition to her interest in jurisprudence, and other sciences serving the legal sciences.

The Muslim woman's contribution in the scientific and educational field has extended since the early ages of Islamic civilization, so the muhaddith, the jurist, the mufti, and the Sufis appeared, who were intended by students of science, and some scholars learned from them. Among the scholars were those who used to hold councils for knowledge, and some of them traveled more in seeking knowledge to a number of scientific centers in Egypt, the Levant, Mecca and Medina, until they became well-established in the narration of hadith and forensic science in general, and some of them contributed to poetry, literature and other sciences. However, we find that history books and biographies did not give them detailed attention, but referred to them when mentioning their fathers or husbands.

Algerian women have an effective contribution to the scientific movement in general and in the field of legal sciences, especially at the time of the flourishing of science in the Arab Maghreb from the beginning of the ninth century AH.

Keywords : scientific movement; forensic sciences; woman; modernizers; jurisprudence , scholars .

مقدمة:

لقد اهتم المؤرخون بقصص العلماء وعطاءهم، وخدمتهم للعلم، وبيان المدارس التي أساسوها أو درسوا فيها أو درّسوا بها، وذكر أخبار شيوخهم وتلاميذهم، وذكر مؤلفاتهم، وذكر مذاهبهم وما مدى إسهاماتهم في قيام الحضارة الإسلامية.

ولم تكن المرأة غائبة عن الحياة العلمية، وعلى مدى التاريخ شاركت في الحياة العلمية في جميع أقطار الأمة الإسلامية، إذ حققت المرأة المسلمة مكانة علمية عالية على مر العصور في التاريخ الإسلامي، إذ أن الإسلام حثّها على طلب العلم، فظهرت نساء عالمات في مختلف مجالات المعرفة فقد عرف التاريخ منهن قارئات، ومحدثات، وفقهات، وأديبات، وشاعرات ونحويات، وناسخات، وخطاطات، وبهذا تكون المرأة تركت أثارا واضحة في الحياة الفكرية والثقافية.

والإشكال المطروح في هذا البحث، هل من هؤلاء النسوة نساء جزائريات قد شاركن في الحركة العلمية؟ وللإجابة على هذا الإشكال حاولت جاهدة أن أبحث في كتب التاريخ والتراجم ومعاجم الأعلام عن وجود عالمات جزائريات في مجال العلم الشرعي واللغة والأدب والشعر والتصوف وغيرها من العلوم، من زمن الفتوحات الإسلامية حتى العصر الحديث، دون ذكر المتأخرات والأحياء منهن.

أهداف البحث:

- يهدف هذا البحث إلى بيان ما يلي:
- مكانة المرأة العاملة بين العلماء وأثرها عليهم.
- المواضيع العلمية التي شاركت فيها المرأة الجزائرية.
- إلقاء الضوء على عالمات ومحدثات وصوفيات جزائريات.
- كون المرأة لها دور كبير في صناعة الحضارات، لأنها شريكة الرجل في البناء والتكوين، ومن هنا تعاظم دورها.

منهج البحث:

استخدمت في هذا البحث؛ المنهج الوصفي لمعرفة جوانب مشاركة المرأة الجزائرية في المجال العلمي.

تمهيد:

عنى الإسلام بتعليم المرأة؛ لأن شريعة الإسلام جاءت مخاطبة للرجل والمرأة، فلا فرق بينهما، فكليهما مخاطب بأركان الإسلام والتوحيد وأحكام الشريعة، وهذا لا يتم إلا بالتعلم، لذلك نجد أن بعض النساء جئن للنبي (صلى الله عليه وسلم) يطلبن منه أن يخصص لهن مجلسًا خاصًا بهن ليتعلمن، فاستجاب لهن النبي (صلى الله عليه وسلم) كما جاء في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: «جاءت امرأة إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يومًا تأتيك فيه تُعلّمنا مما علّمك الله، فقال: اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا، فاجتمعن، فأتاهن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فعلمهن مما علّمه الله» (1).

وكتب السيرة والحديث تبين كيف اندفعت المرأة لتحصيل العلم الشرعي، وكيف تغير وضعها بظهور الإسلام عن الجاهلية، وكان عمر ابن الخطاب يقول: «وَاللَّهِ إِنْ كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَا نَعُدُّ لِلنِّسَاءِ أَمْرًا، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِنَّ مَا أَنْزَلَ، وَقَسَمَ لَهُنَّ مَا قَسَمَ» (2).

أولاً: محدثات في العلم والحديث.

من أعظم النساء في الحديث والفقه عائشة (رضي الله عنها) التي كانت تسمى عائشة العلم والفقه، تربت في أحضان النبوة، وقد كان عطاء بن رباح رحمه الله يقول عن عائشة رضي الله عنها: «كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأياً» (3)، وقد كانت من الصحابة المكثرين من رواية الحديث، ولها استدراكات على الصحابة رضي الله عنهم، وقد صنف الإمام الزركشي كتاباً في ذلك سماه "الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة"، كما كان لأُم سلمة وزينت بنت جحش وحفصة بنت عمر (رضي الله عنهن جميعاً) حظ في رواية الحديث.

وقد اشتهر عن النساء في رواية الحديث الثقة، أي السلامة من التهم والتضعيف والتحريف، يقول الإمام الذهبي: «وما علمت في النساء من اتهمت، ولا من تركوها» (4). ويقول ابن حجر: «لا أعلم في النساء من اتهمت ولا تركت» (5). وقال الإمام الشوكاني: «لم ينقل أحد من العلماء بأنه ردّ خبر امرأة لكونها امرأة، فكم من سنة تلقتها الأمة بالقبول من امرأة واحدة من الصحابة، وهذا لا ينكره من له أدنى نصيب من علم الرواية» (6).

وقد أورد الذهبي شيخاته في كتابه "معجم شيوخ الذهبي". وأورد السخاوي في موسوعته الضخمة "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع" أكثر من 1070 ترجمة لنساء برزن في ذلك القرن، معظمهن من المحدثات الفقيهات.

ولم يهتم العلماء في أخذهم وسماعهم عن يأخذونه، فأخذوا العلم من النساء، ككبار الصحابة والأئمة

والمحدثين وكبار العلماء، والمتصفح لكتب التراجم والتاريخ يجد أن الكثير من العلماء كان شيوخهم

نساء، كالإمام البخاري، وابن عساكر الذي كانت له ثمانين شيخة من شيوخه أخذ العلم عنهن.

وذهب الحافظ الذهبي إلى أن هناك خلق من التابعين أخذ عن الصحابييات (7). وقد شهد كل قطر الأمة

الإسلامية شرقاً وغرباً نساء علمات في الحديث والفقه من عصر النبوة حتى العصر الحديث.

والمرأة الجزائرية كان لها دور بارز وفعال في مجال الحركة العلمية والثقافية، فظهرت المحدثات والفقيهات والأديبات

والشاعرة والمتصوفة والمصلحة، ومن أبرزهن:

نماذج الجزائريات المحدثات:

- أم الحياء البسكورية: وهي صفية بنت محمد بن محمد بن عمر بن عنقة، بسكرية الأصل، مدنية النشأة،

سكن أبوها المدينة المنورة فنشأت بها، وسمعت على ابن صديق، وكانت من أفضل المحدثات، وأجاز لها أبو هريرة بن الذهبي العالم الشهير صاحب المصنفات المشهورة، والتنوخي وابن أبي المجد وجماعة.

وقال عنها السخاوي: أنها حضرت على جدها لأُمها جمال الدين يوسف بن إبراهيم بن البناء نسخة أبي

المسهر، وحدثت وأخذ عنها وتلمذ على يديها العملاق النجم بن فهد (8).

-رقية بنت عبد القويّ البجائية: جزائرية الأصل وهي السيدة رقية بنت عبد القويّ بن محمد البجائية، كنيته البجائية نسبة إلى بجاية مدينة النشأة، وهي ابنة الفقيه والمحدث الكبير عبد القوي بن محمد البجائي الأصل، الذي عاش في بجاية وانتقل بعدها إلى المشرق العربي ليكمل علمه فاستقرّ بمكة المكرمة، فنشأت رقية في بيت علم ودين بمكة المكرمة، وحرص والدها على تعلمها بنفسه، وكانت من فضليات النساء، حفظت القرآن الكريم وعلوم الإسلام والكون والطبيعة منذ صغرها على يد علماء معروفين، لكن حبّ حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) طغى على قلبها فتخصّصت في علوم الحديث، فحفظت آلاف الأحاديث الشريفة، تعلّمت أصول الفقه والدّين في مكّة المكرّمة نافست العديد من علماء عصرها، ونالت شهرة واسعة في مكّة، وتخرج على يدها كبار العلماء المسلمين⁽⁹⁾.

أجاز لها الحافظ العراقي الكبير صاحب تخرّيج أحاديث إحياء علوم الدين، والحافظ الهيثمي صاحب الزوائد، وابن صديق والزين المراغي، وهي أجازت وتتلّمذ على يديها العالم الجليل أستاذ السيوطي الشيخ السخاوي صاحب الاعلان بالتويع لمن ذم التاريخ، توفيت سنة 874 للهجرة الموافق ل 1479م⁽¹⁰⁾.

- عائشة المديونية: وهي عائشة بنت أحمد بن الحسن المديوني، أم ابن مرزوق الحفيد المتوفى سنة 842هـ. قال المقرئ: «... قال ابن مرزوق: حدثني أمي عائشة بنت الفقيه الصالح القاضي أحمد بن المديوني، وكانت من الصالحات، ألفت مجموعة من أدعية اختارتها، وكانت لها قوة في تعبير الرؤيا اكتسبتها من كثرة مطالعتها لكتب الفن...»⁽¹¹⁾.

ولابن مرزوق الحفيد ابنته حفصة، التي ورثت علم أبيها وحضرت مجالسه، ولها ولد محمد الثامن، الذي عرف بابن مرزوق الخطيب كان حيّا سنة 918هـ⁽¹²⁾.

ومن شاركن في الحياة العلمية من الجنوب الجزائري في العصر الحديث: الزهرة من منطقة توات، وسكينة بنت المختار.

- الزهرة هي بنت مولاي عبد الله الهبلّة: ولدت بمنطقة الهبلّة بتوات، ونشأت في بيت علم، أشرف والدها على تحفيظها القرآن الكريم، وتلقينها العلوم الشرعية، عرفت بالصلاح والتقوى، اشتهرت بحفظ الأذكار والأدعية، وكانت تحفظ أشعار أبيها، توفيت بمنطقة الهبلّة سنة 1420هـ الموافق ل 1999م⁽¹³⁾.

- سكينة بنت المختار الشيخ: ولدت بأنزجير العام 1342هـ الموافق ل 1923م، حفظت القرآن الكريم، وتلقت المعارف الدينية على يد والدها، وأصبحت فقيهة، ومعلمة للقرآن الكريم، تخرج على يديها عدد من الطلاب، منهم ابنها الحاج محمد والحاج الحسان، اشتهرت بالعلم والتقوى والصلاح، توفيت بأنزجير العام 1424هـ الموافق ل 2004م⁽¹⁴⁾.

وعليه، فإن بعض العلماء قد أشرفوا على تعليم بناتهم وأمهاتهم وأزواجهن القراءة والكتابة والقرآن الكريم وقواعد الدّين، ومبادئ اللغة، فقد ذكر محمد بن سليمان أن العالم الصوفي عبد الوهاب بن حميدة كان شيخاً لأمه، وأخبر أبو راس أنّ أمه كانت كرابعة العدوية علماً وتقوى، وذكر الورثياني أن إحدى زوجاته كانت تحفظ ربع القرآن

والوظيفة الزروقية وأجزاء من رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ومن زوجاته من كانت تنسخ الكتب، كما كان لجدّه بنتان كل منهما قد نسخت كتاب التوضيح⁽¹⁵⁾.

وكذلك كريمة وبنت الشيخ أبي يعلى الزواوي كل من عرفها عرف ما كانت عليه من تربية عالية، وثقافة علمية راقية ثقّفها بها والدها، فقد كانت قارئة كاتبة حافظة لكثير من الأحاديث النبوية رحمها الله⁽¹⁶⁾.

ثانياً: مشاركة المرأة في المجالس العلمية.

إن الدعم الذي نالته المرأة من أهلها، كان سبباً لتلقي العلم والمعارف، فإن للآباء والأمهات دور مميز في تعليم أبناءهم العلم، وحرص على تكوينهم في شتى فنون العلم، خاصة العلم الشرعي، وكانت الأسر في القرون الماضية تعرف مناقشات علمية داخل البيوت بين أفراد العائلة، حتى الخدم والعبيد منهم.

يقول ابن الحاج المالكي: «فيحتاج العالم أن يتبتل لتعليم هذه الأحكام للكبير والصغير والذكر والأنثى، عَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قالت: قال رسول (الله صلى الله عليه وسلم): " إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ " (17)، فسوى بين الزوج والزوجة والولد والعبد والأمة في هذه الصفات الجميلة، وما زال السلف رضوان الله عليهم على هذا المنهج تجد أولادهم وعبيدهم وإماءهم في غالب أمرهم مشتركين في هذه الفضائل كلها»⁽¹⁸⁾.

ويقول أيضاً: «والعالم أولى من يحمل أهله، ومن يلوذ به على طلب المراتب العلية، فيجتهد في ذلك جهده، فإنهم أكد رعيته وأوجبهم عليه وأولاهم به، فينبههم على ما تقدم ذكره»⁽¹⁹⁾.

لذلك اهتم العلماء بأولادهم ذكورا وإنثاء، فلا نكاد نجد امرأة عالمة محدثة أو فقيهة أو أدبية أو شاعرة، إلا وقد أخذت العلم عن أبيها أو زوجها أو أخيها، أما النساء الجزائريات اللواتي قد وقفت عليهن، فكلهن أخذن العلم عن آبائهن .

وقبل الحديث عن المشاركة العلمية للمرأة الجزائرية في المجالس العلمية، أتحدث عن مشاركة المرأة المسلمة في المجالس العلمية من عهد النبوة إلى العصر الحديث والمعاصر.

إن المرأة في عهد النبوة حضرت أهم الانجازات والخطوات الأولى لبناء المجتمع الجديد، وذلك بمشاركتها في البيعة، والحضور النسوي كان في لقاءات البيعة المختلفة مثل أم عمارة وأم المنيع.

وشاركت المرأة منذ الوهلة الأولى في تعلم الحديث وتعليمه، وذلك حين رأت نفسها معنية بذلك؛ لأنه يمثل مصدراً في معرفة الحلال والحرام، كما أنها مكلفة بتبليغ الدين الذي يقتضي حفظ أحاديث وإتقانها، فإنهن مثل الرجال في التحمل، فقد حرص الرسول (صلى الله عليه وسلم) على تعليمهن، لقول الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾⁽²⁰⁾، واعتنت النساء بحفظ الحديث إما منه مباشرة أو من أزواجهن وإخوانهن وآبائهن، واستمر الحال بعد الرسول (صلى الله عليه وسلم)⁽²¹⁾.

وكن يشاركن الرجال في تحقيق المسائل العلمية بالمناظرة والمحاورة لمعرفة أحكام الدين، والوقوف على سنة النبي (صلى الله عليه وسلم)، قال ابن حجر: «ومن فوائد الحديث، المناظرة في العلم بين الرجال والنساء»⁽²²⁾.

وشاركن أيضا في تبليغ العلم ورواية الحديث وأدائه، فضلا عن تحمله وطلبه ودراسته، ولما كانت أحد وسائل التبليغ، فقد شجعهن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على تعليمها كما في حديث الشفاء بنت عبد الله قالت: «دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَأَنَا عِنْدَ حَفْصَةَ فَقَالَ لِي أَلَا تُعَلِّمِينَ هَذِهِ رُفِيَّةَ التَّمَلَةِ كَمَا عُلِّمْتِيهَا الْكِتَابَةَ» (23).

واهتم العلماء والمحدثون بتعليم أولادهم ذكورا وإناثا، وكانت العناية بالبنات من الظواهر الملموسة، وكانت بعض النساء ترحل مع أبيها أو زوجها، ويجتمعن بكبار المحدثين، ويروى عنهن سمعا، ويجيزوهن بالرواية، ويروون عنهن كما روى الإمام أحمد عن أم عمر الثقفية (24).

ويضرب المثل بعائلة ابن حجر العسقلاني، ففيها الكثير من النساء عالمات وراويات الحديث، كزوجته وبناته (25).

إن للنساء دور بارز في تثقيف وتربية الفقيه والعالم عبر العصور، يقول ابن حزم: «رُيِّثُ فِي حَجَرِ النِّسَاءِ، وَنَشَأَتْ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ، وَلَمْ أَعْرِفْ غَيْرَهُنَّ، وَلَا جَالَسَتْ الرِّجَالَ إِلَّا وَأَنَا فِي حَدِّ الشَّبَابِ، وَهَنَّ عَلِمْتَنِي الْقُرْآنَ، وَرَوَيْتَنِي كَثِيرًا مِنَ الْأَشْعَارِ، وَدَرَّبْتَنِي فِي الْخَطِّ» (26).

ثالثا: المرأة أديبة وشاعرة.

لم يقتصر دور المرأة في المجتمع الإسلامي على رواية الحديث والفقه، بل برزت المرأة في الأدب والشعر منذ الجاهلية، فكانت المرأة أقوى في الأدب والشعر في العصر الجاهلي وقبل العصر الحديث لسلامة اللسان العربي من الكلمات الدخيلة عليه كالكلمات الأعجمية والبربرية.

ومن أبرز النساء في الجاهلية وبعد الإسلام الخنساء، ثم أثبتت المرأة بعد ذلك بلاغتها وعظمتها في الأدب والشعر، لتأثر أدبهن وشعرهن بالدين الإسلامي.

أما المرأة الجزائرية، فقد برز ظهورها في الشعر والأدب في العصر الحديث أكثر من أي عصر، فقد تصفحت كتب التراجم والتاريخ المتاحة في تاريخ الجزائر لأبحاث عن أديبات وشاعرات؛ حتى وإن لم يكتبن، فلم أجد إلا النادر منهن، والسؤال المطروح: هل ذلك لعدم اهتمام المرأة الجزائرية بالأدب والشعر أم أن المؤرخين هم المقصرون في إبرازهن؟ وللإجابة عن هذا السؤال، سأجيب عليه عندما أتحدث عن قصور التأليف عند المرأة الجزائرية في العصور السابقة.

ومن النساء البارزات في مجال الأدب والشعر:

— **عائشة بنت عمارة:** وهي بنت أبي طاهر بن يحيى بن عمارة الشريف الحسني، شاعرة من شواعر المغرب في القرن السادس للهجرة، كانت أديبة ذات فصاحة وبلاغة، قال فيها صاحب عنوان الدراية: «كانت أديبة أريية فصيحة لبيبة» (27).

وكان لها خط حسن، كتبت كتاب الثعالي بخطها في ثمانية عشر جزءا، وتكتب في خاتمة كل سفر منه قطعة من الشعر من نظم والدها موجودة بالخزانة السلطانية ببجاية.

ومن شعرها:

أخذوا قلبي وساروا واشتياقي أو دعوني
لا عدا إن لم يعودوا فاعذروني أو دعوني

ويقال: إنها بعثت بهما إلى أبي علي حسن بن الفكون شاعر وقته، وطلبت منه معارضتهما أو الزيادة عليهما، فكتب لها معتذرا عن الجواب: إن الاختصار عليهما هو الصواب.

وقالت أيضا: صدي عن حلاوة التشيع اجتنابي مرارة التوديع
لم يقم ذا بوحشة هذا فرأيت الصواب ترك الجميع

ولها طرائف أخبار ومستحسنات أشعار، فقد خطبها رجل من الأشراف كان أصلع، فلم تجبه إلى طلبه وقالت تداعب إحدى صاحباتها من الفتيات:

عذيري من عاشق أصلع قبيح الإشارة والمنزع
يروم الزواج بما لو أتى يروم به الصفع لم يصفع
برأس حويج إلى كية ووجه فقير إلى برقع⁽²⁸⁾.

وهناك من النساء التي كان لها اهتمام بالشعر والقصائد من الجنوب الجزائري، أمثال:

- **نانة عائشة:** بمنطقة توات المعروفة حاليا بولاية أدرار، ونانة عائشة هي ابنة محمد بن المبروك البداوي الجعفري، تربت في حضن والدها، فتعلمت عليه وحفظت عنه العديد من القصائد الشعرية، وقد اهتمت بالشعر اهتمامًا كبيرًا، وعرفت بالزهد والتقوى، وتوفيت في القرن الثالث عشر للهجرة⁽²⁹⁾.

وقد عُرف أعلام توات بالنظم في شتى العلوم لنظم أبواب الفقه ومسائل القضاء والرياء والمدح.

والخلاصة: إن ما وصلت إليه المرأة الجزائرية المعاصرة في الأدب والشعر ما هو إلا تأثرًا بمن سبقها عبر عصور التاريخ. وما يلاحظ على مساهمة المرأة الجزائرية في الحركة العلمية مقارنة بالرجال، أن مشاركة المرأة لا تضاهي عمل الرجال، سواء من ناحية التأريخ للمرأة العاملة أو المؤلفة، وما يخص قصور دور المرأة الجزائرية في التأليف والتصنيف، ينطبق على المرأة عموما، وذلك لأسباب تتجلى في ثلاث عوامل رئيسية:

1- عدم تفرغ المرأة للتأليف، بسبب طبيعة عملها في شؤون البيت الكثيرة، بالإضافة على أيام الحمل والولادة، والعناية بتربية الأولاد... إلخ.

والتأليف يحتاج إلى هدوء، وصفاء ذهن، وإلى تفرغ، وهذا ما تفتقده المرأة المشرفة على المنزل في أكثر الأحيان. والمقارنة بين عدد المؤلفين وعدد المؤلفات في حياتنا المعاصرة، تبين وجهة النظر هذه؛ لأن زيارة أية مكتبة، يرى المرء بنفسه عدد الكتب التي تحمل أسماء المؤلفين، وعدد التي تحمل أسماء المؤلفات!

2- رغبة المرأة في السماع والكلام أكثر من الاتجاه إلى التأليف، ولذلك يلاحظ بروز مواهب المرأة في الحديث وعلومه والشعر والأدب واللغة أكثر من بقية التخصصات.

والمتمجول بين كتب تراجم الرواة من المحدثين، لرأى كمًا هائلًا من أسماء النساء يملئن جوانب هذه الكتب، منهن شيخات على مستوى عال من العلم والحفظ، ففي كتاب "أعلام النساء" لعمر رضا كحالة، الذي جمع فيه تراجم نساء كثيرات من العصور القديمة حتى العصر الحاضر في خمس مجلدات، أكثر النساء منهن محدثات! 3- إهمال كثير من الكتاب والمؤرخين تراجم النساء⁽³⁰⁾، وقد تكون أكثر الأسباب في هذا الأمر عدم إلمام الكاتب بالجوانب الكافية لترجمة المرأة، التي يكون مبنائها على الستر والتعفف، ولعدم التمكن من الحصول عليها غالبًا، يتجاهلها المؤرخ، ولا تحفى صعوبة الاستفسار عن أحوال المرأة سواء أكانت بنتًا أو أختًا أو زوجة، من بعد الفتوحات الإسلامية⁽³¹⁾.

إلا أن هناك من العلماء من أبدع في ذكر تراجم القرن الثامن الهجري والقرن التاسع الهجري، أمثال الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة"، الذي ترجم فيه لمجموعة من النساء العالمات، وكذلك كتابه "إنباء العُمر بأبناء العُمر"، حيث تناول فيه السيرة الشخصية والعلمية لعدد من العالمات والمحدثات ممن تركزن بصمة في الحياة الثقافية والفكرية العلمية، كما خصص الحافظ السخاوي مجلدًا كاملاً للنساء في كتابه "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع".

رابعًا: المرأة المتصوفة.

يحتل التصوف والطرق الصوفية أهمية كبرى في الحياة الفكرية، وهذا المجال لم يقتصر على الرجال فقط، بل خاضت فيه المرأة الجزائرية وأثبتت وجودها، خاصة في عهد الاستعمار الفرنسي، حيث كانت المقاومة الشعبية للاحتلال مدعومة من طرف الزوايا الدينية والطرق الصوفية، وقد لعبت النساء المتصوفات دورًا رياديًا في الثورة الجزائرية، ومن بينهن:

- **لالة فاطمة نسومر:** (1830م - 1863م)، فاطمة سيد أحمد بنت محمد بن عيسى مقدم الطريقة الرحمانية، وقد نشأت في أسرة دينية تنتمي إلى الطريقة الرحمانية، واتصفت بقوة الشخصية ورفضها للاضطهاد والاستعمار الفرنسي⁽³²⁾.

تعد لالا فاطمة نسومر من أبرز وجوه المقاومة الشعبية الجزائرية في بدايات الغزو الفرنسي للجزائر في منطقة القبائل من 1854 إلى يوليو 1857، ساعدت في قيادة مقاومة ضد الفرنسيين، وبمجرد القبض عليها من قبل القوات الفرنسية، سجنحت حتى وفاتها بعد ست سنوات. كان أتباعها يعتقدون أن الله قد وهبها قوة، بما في ذلك القدرة على رؤية المستقبل وعلاج المرض.

وانعزلت فاطمة نسومر عن الناس وتفرغت للتصوف والعمل في المدرسة القرآنية، وتأثرت بأخيها الذي كان ملما بمختلف العلوم الدينية؛ مما أهله ليكون مقدّمًا للزاوية الرحمانية التي كانت منتشرة في منطقة القبائل. واشتهرت بمقاومتها للاحتلال الفرنسي في تلك الحقبة. توفت سنة 1863م⁽³³⁾.

- **لالة زينب القاسمية:** زينب بنت محمد بن أبي القاسم، شيخ زاوية الهامل، ولدت سنة 1850م، ونشأت في أحضان والدها بقرية الهامل، بوسعادة وتعلمت علوم الدين على يده.

ومن أبرز أعمالها التي خلدت ذكرها مواصلة بناء مسجد والدها "المسجد القاسمي"، لاعتنائها بالدين الإسلامي، وتوليها مشيخة زاوية أبيها التي كانت ترأس الطريقة الرحمانية، وهي أكبر طريقة آنذاك من حيث عدد الأتباع والمريدين والزوايا والطلبة. كما أنها لم تستسلم للسلطات الفرنسية بالتخلي عن الزاوية، بل كانت مقاومة قوية ضد الاحتلال.

قال عنها الشيخ علي بن الحاج موسى: "الدرة المصونة الفاضلة والخيرة البرة المتبتلة الناسكة القانتة، السيدة زينب بنت العلامة الولي الصالح الشهير الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم، ذي القدر الكبير ... من غير خلف لها بالكلية، ولا وجود زوج لها البتة..."

ووصفها عاشور الخنقي، فقال: "وتولت بعده ابنته أعجب العجب، وبضعت العذراء البتول، السيدة زينب الولية الصالحة، الغرة الواضحة، القارئة كتاب الله عز وجل، العالمة المتفكحة في الدين التفقه الأجل"، وتوفيت سنة 1904م، ولها من العمر 35 سنة⁽³⁴⁾.

كما يمكن رصد مشاركة المرأة الجزائرية في مجال التعليم والإصلاح، من خلال رائدات مصلحات ساهمن في بلورة الوعي النسائي وتعليم البنات، أين اتسعت الحركة الإصلاحية النسوية في المدن والقرى من 1900-1954، فبرز منهن من يكتب وينشر في الصحف والمجلات ويمتهن التمريض.

أما حالياً، فهناك الكثير من النساء المتخصصات في مجال الفقه والحديث بالجامعات وشيخات في المساجد، ومحققات للكتب الفقهية والحديثية وغيرها، وفي جميع العلوم الطبيعية والتقنية.

الخاتمة:

من خلال هذا البحث يمكن الخلوصل إلى النتائج الآتية:

- لم يخل عصر من عائلات جليلات، محدّثات، وفقهات صالحات، وشاعرات، تتابع العلماء على الاستفادة منهن، والأخذ عنهن.
- برزت المرأة في الحديث وعلومه أكثر من أي علم من علوم الشريعة؛ لأنه من طبيعة المرأة أنها تعتمد على السماع والحفظ، وأن الأحاديث النبوية كانت تلقن رواية بالسند، كما أن الحديث وعلومه هو العلم الثاني بعد القرآن الكريم، يحفظه طلبة العلم أو يلقيه العالم لأبنائه وأهل بيته.
- لم يصل صيت المرأة الجزائرية إلى ما وصل إليه العلماء الذين أقاموا الحضارة الإسلامية، وذلك لعدددهن، وعدم تركهن مصنفات.
- إن المرأة الجزائرية التي برزت في العلم كانت إما أمّا أو زوجة أو بنتاً أو أختاً لعالم، فكانت بيوت العلماء هي من تصنع العالمات.

الهوامش:

- (1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: تعليم النبي (صلى الله عليه وسلم) أمته من الرجال والنساء مما علمه الله، ليس برأي ولا تمثيل، حديث: 6880، ج 6 ص 2666.
- (2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير/ التحريم، باب: تبغى مرضاة أزواجك، حديث رقم: 4629، ج 4، ص 1866.
- (3) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة نهضة مصر، ج 1، ص 604.
- (4) شمس الدين الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ط 1، 1382هـ/1963م، ج 4 ص 604.
- (5) ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط 2، 1390هـ/1971م، ج 7، ص 522.
- (6) محمد الشوكاني: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، تحقيق عصام الدين الصباطي، دار الحديث، مصر، ط 1، 1413هـ/1993م، ج 8 ص 22.
- (7) محمد الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (1422هـ/2001م) ، ج 7، ص 42.
- (8) عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط 2، 1400هـ/1989م، ج 1، ص 24. أحمد الغبريني: عنوان الدراية، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 2، 1979م، ص 23.
- (9) عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط 2، 1385هـ/1965م، ج 2، ص 44.
- (10) جلال الدين السيوطي: كتاب التحدث بنعمة الله تعالى، تحقيق الزبائت ماري سارتين، المطبعة العربية الحديثة، (دت، دط)، ص 51. عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ج 1، ص 35. أحمد الغبريني: عنوان الدراية، مرجع سابق، ص 35، 47.
- (11) ابن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، اعتنى به محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، ط (1326هـ/1908م)، ص 212. أحمد الغبريني: عنوان الدراية، ص 289.
- (12) المرجع نفسه (البستان، ص 258).
- (13) عبد الله مقلاتي، مبارك جعفري: معجم أعلام توات، دار السبيل، الجزائر، ط 2013م، ص 158. أحمد أبو الصافي جعفري: رجال في الذاكرة (محمد بن أب المزمري)، ص 351.
- (14) عبد الله مقلاتي، مبارك جعفري: معجم أعلام توات، مرجع سابق، ص 165. أحمد أبو الصافي جعفري: رجال في الذاكرة، مرجع سابق، ص 360.
- (15) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، دار المعارف، القاهرة، ط 1، ص 68.
- (16) البصائر: السلسلة الأولى، العدد (10)، (ص 5)، الجمعة 19 ذي الحجة 1354هـ/ 13 مارس 1936م.
- (17) حديث صحيح، أخرجه الإمام أحمد في باقي مسند الأنصار من حديث أم سليم بنت ملحان، حديث رقم: 5869؛ وأخرجه الترمذي في كتاب الطهارة، باب: ما جاء فيمن يستيقظ فيرى بللاً ولا يذكر احتلاماً، حديث رقم: 105، وأخرجه أبو داود في السنن، كتاب: الطهارة، باب: في الرجل يجد البله في منامه، حديث رقم: 2044.
- (18) ابن الحاج: المدخل: دار التراث، (دط، دت)، ج 1، ص 215.
- (19) المصدر نفسه.
- (20) سورة الشعراء: الآية 214.
- (21) آمال قرداش بنت الحسين: دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى، سلسلة كتاب الأمة، العدد: 70، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الدوحة، قطر، ط 1، 1420هـ/1999م، ص 234.
- (22) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز، رئاسة البحوث العلمية والإفتاء، تصحيح: محب الدين الخطيب، دار الفكر، ج 4، ص 238.
- (23) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند، ج 6، ص 372؛ وأبو داود في السنن، كتاب: الطب، باب: ما جاء في الرقي، حديث رقم: 3887، ج 4، ص 215، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: 178.
- (24) آمال قرداش: دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى، مرجع سابق، ص 150 وما بعدها.
- (25) ينظر شاكر محمود عبد المنعم: ابن حجر العسقلاني مصنفاته ودراسة في منهجه وموارده في كتابه الإصابة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1 (1417هـ/1997م) ص 65، 69 وما بعدها.
- (26) ابن حزم: طوق الحمامة، تحقيق فاروق سعدن، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط 1975م، ص 140-141.

- (27) أحمد الغبريني: عنوان الدراية، مرجع سابق، ص48.
- (28) المرجع نفسه، ص48.
- (29) عبد الله مقلاتي، مبارك جعفري: معجم أعلام توات، مرجع سابق، ص397. أحمد أبا الصافي جعفري: رجال في الذاكرة (سيدي محمد بن المبروك)، مرجع سابق، ص25.
- (30) محمد خير رمضان يوسف: المؤلفات من النساء ومؤلفاتهن في التاريخ الإسلامي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط2، 1421هـ/2000م، ص13، 14.
- (31) المرجع نفسه: ص15.
- (32) فيصل هومة: رجال لهم تاريخ متبوع بناء لمن تاريخ، دار المعرفة، الجزائر، ط2010م، ص272.
- (34) المرجع نفسه: ص402.
- (35) عبد المنعم القاسمي الحسني: لالا زينب القاسمية ودور الطرق الرحمانية في المقاومة الشعبية، جريدة الوطن، الجزائر، تاريخ: 2013/04/20.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة نهضة مصر.
- ابن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، اعتنى به محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، ط(1326هـ/1908م).
- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، دار المعارف، القاهرة، ط1،
- الترمذي محمد بن عيسى: الجامع الصحيح، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1398هـ.
- آمال قرداش بنت الحسين: دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى، سلسلة كتاب الأمة، العدد: 70، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الدوحة، قطر، ط1، 1420هـ/1999م.
- أحمد أبا الصافي جعفري: رجال في الذاكرة، وقفات تاريخية في أعماق الذاكرة التواتية، دون طبعة.
- فيصل هومة: رجال لهم تاريخ متبوع بناء لمن تاريخ، دار المعرفة، الجزائر، ط2010م.
- الألباني محمد ناصر الدين: السلسلة الصحيحة، المكتب الإسلامي، بيروت، ط4.
- أبو داود السجستاني سليمان بن الأشعث: السنن، دار الحديث، سوريا، ط1، 1388هـ/1969م.
- محمد الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1422هـ/2001م.
- محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، ضبط وتخرّج مصطفى ديب البغا، دار الهدى، الجزائر، ط1992م.
- ابن حزم: طوق الحمامة، تحقيق فاروق سعدن دار مكتبة الحياة، بيروت، ط1975م.
- أحمد الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979م.
- ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز، رئاسة البحوث العلمية والإفتاء، تصحيح: محب الدين الخطيب، دار الفكر.
- عبد المنعم القاسمي الحسني: لالا زينب القاسمية ودور الطرق الرحمانية في المقاومة الشعبية، جريدة الوطن، الجزائر، تاريخ: 2013/04/20.

- ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط2، 1390هـ/1971م.
- محمد خير رمضان يوسف: المؤلفات من النساء ومؤلفاتهن في التاريخ الإسلامي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط2، 1421هـ/2000م.
- ابن الحاج: المدخل، دار التراث، (د. ط. ت).
- أحمد بن حنبل الشيباني: المسند، دار الكتب العلمية، بيروت ط2، 1398هـ/1978م.
- عبد الله مقلاقي: معجم أعلام توات، مبارك جعفري، دار السبيل، الجزائر، ط2013م.
- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط2، 1400هـ/1989م.
- شمس الدين الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1382هـ/1963م.
- محمد الشوكاني: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، تحقيق عصام الدين الصبابي، دار الحديث، مصر، ط1، 1413هـ/1993م.
- عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط2، 1385هـ/1965م.
- البصائر: السلسلة الأولى، العدد (10)، الجمعة 19 ذي الحجة 1354هـ/ 13 مارس 1936م.